هذا خلق الله
(٦)

قل سيروا في الأرض

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى
1425هـ - 2004 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

﴿والجبال أوتاداً﴾

في رحلةٍ استكشافية إلى الساحِلِ الجَميلِ ، سَعِدَ الطلابُ بالحياةِ العمليةِ التي عاشُوها مع أساتذتِهِم ، ولعلّهم شعَروا بالفوائدِ العظيمةِ أكثرَ مما أحسُّوا بفوائدِ الدروسِ النظريةِ...!

ففي صبيحةِ يومِ الإثنين حَمَلُوا بعضَ الحاجاتِ الضروريةِ ، وساروا مَشْياً على الأقدامِ ، وذلك باتجاهِ ذلك الجبلِ العالي المُحاذي للساحلِ...

وعلى قمّةِ الجبلِ جلسوا من أجلِ الرّاحةِ والاستمتاعِ بمناظرِ الطبيعةِ الخلابةِ... ، وراحَ الطلابُ يَطرحونَ بعضَ التساؤلاتِ...

والاستفساراتِ ، وكانَ الأساتذةُ المختصّون يُجيبون عن تلكَ التساؤلاتِ والاستفساراتِ ، من ذلك :

كيفَ يَثْبُتُ هذا الجبلُ الكبيرُ ؟

ممّ يتكوّنُ الجبلُ ؟ وماذا يوجَدُ في داخلِهِ ؟

وكم هو وزنُه ؟

وما هي الفوائدُ من الجِبالِ ؟؟

وبدأ الدكتور (معتز) بشرحٍ مفصّلٍ عن الجِبالِ ، صدَّرَها بقولِ الله تعالى :

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ [الحجر : ١٩] .

فللجبالِ دورٌ كبيرٌ في توازُنِ الأرضِ ، فهي تُشبِهُ الأوتادَ بالنسبةِ للخيمةِ ، تَغوصُ في الأعماقِ ، فَتمنَعُ الأرضَ من التمايلِ ، كما قال تعالى :

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبا : ٦-٧] .

إضافةً إلى ذلك ، فالجبالُ هي العاملُ الرئيسيُّ في تَخزينِ المِياهِ العَذْبةِ وتَثبيتِ التربةِ ، ولولا الجِبالُ لذهبتْ أكثرُ المياه المقساقطةِ من السماء إلى البحر ، دون أن تَتخزَّنَ في الأرضِ ولانجرفَتْ معها التربة...

ولذلك رَبَطَ الله تعالى بين الجبالِ العاليةِ وبين المياهِ العذْبةِ ، قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات : ٢٧] .

فسبحانَ الخالقِ المُصَوِّرِ! سبحانَه وتعالى...

* * *

﴿وجعلنا من الماء كلَّ شيءٍ حيٍّ﴾

وعندما أطلُّوا على البحرِ ، وذلك من فوقِ قمّةِ الجبل ، نَطَقَ بعضُهم بعباراتِ التعظيم والثناءِ على اللهِ سبحانه .

وراحَ الدكتور (سامر) يتحدَّثُ عن بعضِ القضايا العلميةِ المتعلّقةِ بالأرضِ ، وكان مما قاله للطلاب :

عندما تَهْطُلُ الأمطارُ على الأرضِ ، يَنزلُ قسمٌ منها إلى جَوفِ الأرضِ ، ويَشربُ منها الإنسانُ والحيوانُ والنباتُ و...

وتسيرُ الأنهارُ إلى البحارِ والمحيطاتِ ، ثم تَحْدُثُ عمليةُ التبخّرِ ، فيخرجُ الماءُ من الأجسادِ ،

وكذلك يتبخّرُ من الأنهارِ والبحارِ والأمطارِ، لتتشكّل من جديدٍ السُّحبُ والغيومُ والأمطار...

مصداقُ ذلك قولُ الله تعالى :

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ [الحجر : ٢١-٢٣] .

أَجَلْ!

إنها الدورةُ المائيةُ، وكلّ ذلك ضمن نسبٍ مضبوطةٍ لا تَختلُّ ولا تَحيدُ... ، لكن قد يتساءلُ الإنسانُ : ما دام العلمُ الحديثُ قد أثبتَ أنّ أربعةَ أخماسِ الأرضِ مغمورٌ بالماء ، وكما هو معلومٌ ، فالأرضُ كرويةٌ ، فكيف لا تَنسكبُ المياهُ عن يمين وشِمالِ الأرض ؟!

إنها صناعةُ اللهِ سبحانه : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً

بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾

[المؤمنون : ١٨] .

وكلُّ الكائناتِ على الإطلاقِ محتاجةٌ إلى الماءِ ، مصداقُ ذلك قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

فهناك إعجازٌ ربانيّ يراه الإنسانُ العاقلُ كلَّ لحظةٍ ، وإلا مَنْ وراءَ توزيعِ المياهِ بهذه الدقّةِ والوضوح... ؟

ولا بدَّ للعاقلِ أن يتوقّفَ أمامَ ذلك كله ، ولسانُه يُردّدُ قولَه سبحانه : ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ۖ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ﴾ [لقمان : ١١] .

* * *

﴿والأرضَ وَضَعَها للأنام﴾

تَساءَلَ (نعيم) : ولكن ما دامَ العلم قد أَثْبتَ أنّ الأرضَ تَتحرّكُ ، فكيف لا يشعرُ الإنسانُ بذلك ؟ وكيف لا تتأثّر الأشياءُ بحركتِها ؟!

وكانَ الجوابُ المختصرُ والمقيدُ من الدكتور (معتز) :

أشارَ القرآنُ الكريم إلى ذلكَ بشكلٍ صريحٍ وواضحٍ ، وذلك في قول الله تعالى :

﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن : ١٠-١٣] .

ومعنى كلمة ﴿وَضَعها﴾ أي : جَعَلَها صالحةً

لهم ، فلا هي رَخْوَةٌ إلى حدٍّ لا يستطيعُ الإنسانُ الثَّباتَ عليها ، ولا صلْبةٌ إلى حدٍّ لا يستطيعُ زراعتَها... والبناءَ عليها...

فهي تتحرّكُ وتدورُ ، حول نفسِها ، وحولَ الشمسِ ، مما يؤدّي إلى تعاقُبِ الفصولِ الأربعة ، ويطولُ النهارُ في الصيف ويَقْصُرُ الليل ، وينعكس الأمرُ في فصلِ الشتاء..!

وقد حَسَبَ العلماءُ حركةَ الأرضِ ، فتبيّن لهم :

أنّ الأرضَ تتحرّكُ في الدقيقةِ الواحدةِ ألفاً وثمانمئة كيلومتراً!!

ولو أنَّ الأرضَ توقّفتْ مدة (٧) أيام مثلاً ، فماذا سيحدثُ ؟!

ستُلغى الفصولُ الأربعةُ وقتَها ، وستَنْعَدِمُ الحياةُ كلُّها ، وستموتُ الحيوانات والنباتاتُ

والإنسان... ، فمن الذي يُنظّمُ هذه الحركةَ الأرضية ؟

... ولو أنَّ حَجْمَ الأرضِ كان أقلَّ أو أكثرَ مما هي عليه الآن لاستحالتِ الحياةُ فوقَها ، فلو أنّ الأرضَ كانت في حَجم القمرِ مثلاً ، لقلّتْ جاذبيتُها ، مما يؤدي إلى اشتدادِ البرودة ليلاً حتى يتجمّدَ كلّ ما فيها واشتدادِ الحرارةِ نهاراً حتى يَحترقَ كلُّ ما عليها!!

.. وأما الظواهرُ الكونيةُ التي تَحْدُثُ على الأرضِ ، فحدِّثْ ولا حَرَجَ :

فهناك ظاهرةُ الرّياحِ ، بحيث يتألّفُ الهواءُ من عددٍ من الغازات ، كلّ واحد منها له نسبةٌ معينة ، وبالتالي لو أنّ هذه النسبةَ نَقَصَتْ أو زادَتْ ، فإنّ ذلك سيؤدّي إلى فَسادٍ في نظامِ هذا الكونِ...

فالرياحُ تتوزّعُ على الكرةِ الأرضيةِ ضمن قانونٍ ربّانيٍّ منضبطٍ ، قال تعالى : ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية : ٥] .

وللرياح دَورٌ كبيرٌ في عمليةِ تَلْقيحِ الأزهارِ وتَكاثُرِها ، ولها دورٌ كبيرٌ أيضاً في تَلقيحِ السحُبِ الرعْديةِ..!! قال الله تعالى :

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ [الحجر : ٢٢] .

... وأما ظاهرةُ الزلازلِ والبراكين... والتي تتعرّضُ لها الأرضُ ، فهي مُخيفةٌ ، قال العلماء :

إن الأرضَ تتعرّضُ سنوياً لما يُقاربُ من مليون هزّةٍ أرضيةٍ ، منها زلازلُ مدمّرة : ففي عام ١٩٨٨ م قُتل في (أرمينيا) من جَرّاءِ زلزالٍ مدمّرٍ قرابة (١٥٠) ألف نسمة!!

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦] .

* * *

﴿أممٌ أمثالكم﴾

تابعَ الدكتور (سامر) القولَ بما يلي :

وما أكثرَ ما خَلَقَ اللهُ على هذه الأرضِ ، فهناك أُمَمٌ وأَجْناس ، وهناك بَشَرٌ ودوابُّ ، وحيواناتٌ ونباتاتٌ و... قال الله تعالى :

﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

[الجاثية : ٤] .

فلو توقَّفْنا مع عالَمِ النحْلِ لرأينا العَجَبَ العجاب! ولو دقَّقْنا النظرَ في أُمّةِ النملِ لسَجَدَ كلُّ عاقلٍ من العقلاء تعبيراً عن دَهْشَتِهِ مما خَلَقَ الخالقُ سبحانه .

فقد أَثبتَ العلمُ الحديثُ أنّ هناك (١٨٠٠٠)

نوعٍ من النمل ، كلٌّ منها مختلفٌ عن الآخر... ويَحدُث بينها حروبٌ شرسة ، وتتمّ فيها عمليةُ استرقاقِ بعضِها للبعضِ الآخر ، وهناك أنواع من النملِ تُمارسُ زراعةَ الفِطْر ونحو ذلك! وبعضُها لديه قِطْعانٌ من الحشراتِ ، تقوم بتربيتِها لتأكلَها وقتَ الحاجةِ...

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت : ٦٠] .

... وهناك أمةُ العَنكبوتِ ، حيث يوجد (٣٠) ألف نوع من العناكب و...!!

فهل بعدَ ذلك كلّه... يحقّ لبعضِ الناسِ أن يقولوا : إنّ هذا الكونَ خُلق مصادفةً ؟!

إنّ الإنسانَ العاقلَ لَيُرَدِّدُ قوله تعالى :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف : ٩] .

... وهكذا أمضى الطلبةُ مع أساتذتِهم أحلى رحلةٍ استكشافيةٍ، تعرَّفوا من خلالها - وعلى الواقع - على كثيرٍ من عجائبِ مخلوقاتِ اللهِ سبحانَه وتعالى.

والحمدُ لله رب العالمين

* * *